جدلية الذات والوطن في رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح

عيساني نزيهة و أ.د براهيم عبد النور/ جامعة طاهري محمد بشار

الملخص :

تهدف الدراسة إلى رصد العلاقة بين الذات والوطن من خلال رواية وطن من زجاج لـ"ياسمينة صالح "، فالكاتبة تستدعي التاريخ المتمثل في العشرية السوداء لإبراز تمظهر الذات في هذه الفترة الفارقة والاستثنائية من تاريخ الجزائر أين تتقاطع فيها الذات الفردية و الذات الوطنية في إيقاع تخييلي يتأرجح بين الموت والحياة ، وهَمٌ فردي يستجيب لهَمٍ جماعي ، فيؤلفان مسارا سرديا متسارعا تارة ورتيبا تارة أخرى تنعكس عبره الذات الضائعة والمرتبكة والحائرة حين تتعارض مع الذات الوطنية و عودة الذات حين تتوحد مع ذات الوطن وتجلى هذا كله من خلال الشخصيات والأحداث المتفاعلة في ثنايا النص الروائي.

الكلمات المفتاحية: الذات ، الوطن ، الموت ، زجاج ، البحث عن الذات

Abstract :

Waller study aims to monitor the relationship between the self and the nation through a novel and tons of glass, the writer called the history in black to highlight particular decimal a manifestation in this period the distinguishing and extraordinary history of Algeria where Criss individual self and national self imaginative rhythm swinging between life and death, and they are individually respond to them collectively, a narrative path together rapidly and uninteresting at other particular lesson reflected lost and confused and restless when inconsistent with national self and return once unite with Home and all this was manifested through the characters and interactive events throughout the text the novelist.

Keywords: Self, Hometown, Death,Glass, Soul-Searching

تمهيد:

تتسرب الذات إلى الكتابة الروائية فتجعل من الكاتب حاضرا وغائبا في الوقت نفسه ،ممارسا لعبة الحضور والغياب حين يتكئ على مخزون ذاكرته ويتخذ من الواقع المعيش وسيلة للبوح ،فيطعم كتابته بالخيال الذي يخفي حضوره ويعبر من خلاله عن هموم الذات والمجتمع والوطن ،انطلاقا من ذاته عبورا إلى ما هو أعمق في مجتمعه ووطنه.

1-دلالة العنوان:

يعد العنوان أول العتبات النصية التي تواجه القارئ، ومفتاحه لفك شفرات النص وتأويل دلالته فهو "يعلو النص ويمنحه النور اللازم لتتبعه "[1]، ويبدو عنوان الرواية محملا بالفراغات البانية عن مقصدية تتدثر خلفها الكاتبة، لتثير في القارئين رغبة القراءة ومتعة إعادتها والتأويل كل من زاويته المعرفية.

[1] بسام موسى قطوس ،سيمياء العنوان،مكتبة الاسكندرية ،ط1 ،2001م ،ص54 .

يتجه مسار الرواية نحو الذات بنوعيها الذات الفردية والذات الجماعية جاعلا من العنوان صورة تعادلية لذلك فالعنوان "وطن من زجاج " الجامع لثلاث كلمات "وطن ، من ، زجاج " مستفز لقارئه ويثير في ذهنه الكثير من التساؤلات، لكونه لعبة دلالية غير قارة أو قابلة للتحديد، لما يحمله من كثافة و دلالات تأويلية ثرة ومفتوحة .

فورود كلمات العنوان نكرة دالة على العموم فيه ما يقال من التأويلات المتعددة ،الكلمات اسمية توحي بالثبات ، ضف إلى كونها نكرة فإنها تدل على العموم وعدم التعيين أو التحديد ، لتجعل منه عنوانا قابلا للإسقاط على أي وطن، فهموم الإنسان ،الآمه و أوجاعه مشتركة بين جميع البشر .

وهذا ما يذهب إليه عبد الستار الجامعي في تحليله لدلالة العنوان : "إذ أن أولهما مفرد ثابت لازم هو "وطن" هكذا عام ونكرة عار وغير محدد ، وثانيهما حرف الجر "من" وهو يأتي لبيان الجنس، جنس الوطن بتركيبه ،أي الزجاج التي هي ثالث مفردات العنوان والتي وردت بدورها خالية من أداة التعريف، يظطلع "الجنس" جنس الوطن بمهمة حصر وتحديد بالأساس ذلك أن لفظة وطن مضاف إليها الزجاج يمكن أن تجئ أيضا عامة مطلقة،وإما يمكن أن نضيف إليها غيرها على غرار وطن من حديد...إلخ"[2]. ولكن يبقى السؤال مطروحا لم هو وطن من زجاج وليس جنسا آخر ؟.

والتساؤلات نفسها طرحتها فريدة إبراهيم بن موسى :"كيف يمكن الجمع بين الزجاج والوطن؟ وما علاقة الثاني بالأول؟ وما العلاقة الشكلية بين العنوان ومضمون النص؟ ثم ما علاقة ذلك بمحنة الوطن؟ ....، نجد أن العنوان مركب من ثلاث كلمات اسمان يتوسطهما حرف جر، وجاء "وطن" مفرد نكرة يعرف بالجزء الثاني من العنوان و"زجاج" كذلك نكرة يحمل الوطن دلالات تزيح عنه معناه المعتاد ، فنترقب المعنى الذي قد يتناسل من تركيب وطن وزجاج"[3].

فالعنوان استعاري يثير مفارقات كثيرة لدى المتلقي ، فالوطن في اعتبارنا موازٍ للانتماء الأمن ، الحماية ، المأوى وهذا كله ينضوي تحت معنى الاحتواء الذي يمنحنا الوطن كما تقول الكاتبة :"من له وطن لا يمشي حافيا "[4]، وعندما يبنى الوطن من زجاج فإنه يشحن بدلالات مفتوحة، إذ أن الزجاج يثير في ذهن القارئ دلالات عدة منها التهشم ، الهشاشة ،القابلية للكسر، الشفافية ،الوضوح، الصفاء والنقاء والجمع بين هذه الدلالات يحرك فضول المتلقي وما يضاعف من قلق تساؤلاته تساؤل الكاتبة في مستهل روايتها:" كيف نحب وطننا يكرهنا "[5] بالإضافة لكونه زجاجي ألصقت به صفة الكره وما تفيض به اللفظة من شحنات دلالية.

كون الوطن من زجاج لن يتمكن أي شخص يقطنه من التخفي بأفعاله أو ارتكاب أي جرم تحت سمائه فالزجاج فاضح ومعري "يفضحنا ويفضح أفعال فئة من المجتمع كانت تحسب أنها معصومة من الخطأ ، وهو لا يسمح بأن ترتكب هذه الشرور

[2] عبد الستار الجامعي ،صناعة الخطاب الروائي في الأدب الجزائري الحديث رواية وطن من زجاج أنموذجا،الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة ال 15،بتاريخ 31-07-2017، http://www.benhedouga.com/content

[3] فريدة إبراهيم بن موسى ،زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية،مجلة عود الند ع71، 5-05-2012،بتاريخ 05-08-2017 http://www.oudnad.net/spip.php?article391

[4] ياسمينة صالح ، وطن من زجاج ،الدار العربية للعلوم ،ناشرون،لبنان ،ط1، 2013م ،ص 13.

[5] المصدر السابق ،ص 07 .

والآثام على أرضه"[6]، وكأن الكاتبة توجه خطابا ذو مقصدية مضمرة في ثناياه تحذر فيه الأيدي الملوثة بالدماء والآثام من تكدير صفاء ونقاء هذا الزجاج وجعل رؤيته ضبابية أو محجوبة وبالمقابل تدعو إلى تطهيره من كل ما يشينه ويدنسه ويخدش طهره أو يهدد أمن وسكينة الفرد والجماعة بين جدرانه الزجاجية.

ونستشف تحذيرا آخر قد يغفل عنه العابثون بتهشيم الوطن الزجاجي وتفتيته فالزجاج إن هشم فإنه يستحيل جبره وإعادة تشكيله كسابق عهده، سيظهر بملمح مشوه وملئ بالتشققات والتعرجات فهيهات أن يعود لصورته الأصلية ،وفي هذا يبقى الوطن الزجاجي معادل لذاتين الفردية والجماعية فإن كسرهما وتحطيمهما لن يجبر ولكن يكون مظهرهما سويا مهما لممنا الشتات ورممناهما.

إن الحفاظ على سلامة الوطن الزجاجي هو حفاظ على طهره ،نقائه وشفافيته ،حفاظ أيضا على صفاء ذواته من الكسر والتهشيم وفي هذا تحقيق للأمن والسلام فيه.

2–مسار الأحداث الروائية في رواية "وطن من زجاج":

رواية وطن من زجاج لياسمينة صالح تؤرخ لمرحلة عاصفة من تاريخ الجزائر، إذ تناولت موضوع العشرية السوداء أو سنين الجمر مع تعدد المسميات لهذه المرحلة العصيبة من تاريخ الجزائر، فتلقي الضياء على الأزمة وحثياتها التي هزت كيان الفرد والمجتمع والوطن ، فأحدثت شرخا في الذات الفردية والجماعية معا.

أحداث الرواية تنطلق من واقع المجتمع الجزائري ، لتغوص في دهاليز الذوات المتنوعة في الرواية ،كاشفة عن عمق الأزمة الناتجة عن الأحداث الدموية المأسوية التي يعيشها الفرد ، المجتمع ، الوطن بشكل يومي حتى أصبحت جزء لا يتجزأ من تفاصيل يومياته.

تسرد الكاتبة على لسان بطلها تفاصيل دقيقة من حياته، بدءاً من الطفولة إلى الشباب ،لتمتد أحداث الرواية على فترة زمنية تربو عن الثلاثين سنة تقريبا ، تشابكت فيها الأحداث و تعالقت حين أصبح مصير البطل جزءا من مصائر الشخصيات المرتبطة والفاعلة في حياته، فنجده يدخل في ذوات أشخاصه ويعبر عنها وعن أحداث تتقاطع مع تفاصيل حياته فينطلق من والدته إلى والده ، جده وعمته ، المعلم وأسرته والأصدقاء .

إنه الطفل الذي استهل حياته بموت والدته "امرأة ماتت وهي تضعني للحياة "[7] فارتبطت حياته بهذه الضدية المشؤومة فوسم بالطفل المشؤوم، الذي صار استمرار حياته مرتبطا بموت المقربين منه ، ومن المفارقات العجيبة أن تجاوز الموت أسرة المعلم بالرغم من قربها منه لسبب يقول عنه: " فكنت لسبب غامض أيضا أفعل ذلك لأجل تلك اليد الصغيرة التي كانت تمسكني من يدي وتحتمي تضغط على يدي وتهمس لي لا تبتعد عني وكنت لا أبتعد ... ألم تكن تلك اليد سببا في الحفاظ على حياة النذير في عدم استدراجه لجنية الوادي "[8]، واستمر بؤسه برحيل الوالد المتمرد على قرارات جده المححفة وهربا من شؤمه "كان

[6] صناعة الخطاب الروائي، مرجع سابق.

[7] ياسمينة صالح ، وطن من زجاج، ص 31

[8] المصدر نفسه،ص 39

أبي يشعر بالضغينة نحوي لأنه ربط بين حياتي وبين موت والدتي "[9]، ليسلمه القدر إلى جد قاس يعيث ظلما واستغلالا لسكان القرية التي تحمل اسمه "كان الناس يقولون قرية جنان الحاج عبد الله"[10]، و بالمقابل وجد يدا حانية وقلبا محبا في كنف عمته المعاقة و المهمشة " ينخر اليأس عظامها "[11] عوضته الفقد والحرمان ، وكان أن أشبع بدوره حاجتها للابن وحنوه "كانت لي ذراع عمتي وحضنها ويدها التي كانت تمسح على شعري ، كان لي صوتها وحزنها وذاكرتها المعطوبة حد الشلل، عمتي التي مع الوقت صارت تناديني ابني وصرت أناديها عن لاوعي أمي "[12].

ومن حسن حظه أيضا تعرفه على المعلم وأسرته ، الذي قربه إليه ليكون فردا من أسرته وجزء منها أين وجد الاهتمام ،الاحتواء والدفء الأسري ومشاعر الحب البريئة لابنتهم التي تصغره بعامين ، وعلى الرغم من تحذيرات الجد من هذه العلاقة الغريبة انجرّ للمعلم و ليدهِ الحانية "جرني جوعي إلى الحنان ، جرني إحساسي باليتم ....ذهابي إلى بيت المعلم جعلني أكتشف لأول مرة أن الناس ليسوا سيئين تماما اكتشفت أني لست وجه الشر الذي ارتبط وجوده بالرحيل والغياب"[13] ، وجد فيه الأب البديل , ورأى فيه الجد العدو اللذود جراء خطبه التي تستنهض سكان القرية ضد الاستغلال الإقطاعي والظلم الذي يمارسه الجد ومن يواليه ، صراع بين حق وباطل انتهى بإخراج المعلم من القرية قصرا وتوقيفه عن ممارسة مهنته ، ليحي حياة الشقاء ويموت شامخا بمبادئه رغم الانكسارات.

واقترن رحيل المعلم بفقد عمته ،فكان أشبه بعام حزن تجرع مرارته طفل لا يعي كل هذه الجراحات" ثم فجأة ودونما سابق إنذار ماتت عمتي ،صدمة الموت الذي يأتي فجأة ....كنت رافضا الفكرة تماما ،رافضا أن تموت تلك الميتة التي لا عودة منها،رافضا أن أعود يتيما من جديد وقد رحل الذين أحبهم وتعودت عليهم "[14].

وتستمر الأحداث تأزما تحت وقع الألم بموت الجد والحرمان من منزل يؤويه فكان ملاذه الرحيل إلى العاصمة ،والتمسك بقشة العلم والنجاح لتحقيق ذاته والخروج من دائرة الأحلام المحبطة ، ليحقق جزءا من طموحه بولوج الصحافة بعد تخرجه بتفوق في العلوم السياسية "لم تكن الصحافة إلا الجدار الذي وجدت نفسي أكتب عليه ،ليس عن واجب وليس عن حاجة بل عن قناعة، أنني لأول مرة في حياتي أختار شيئا لا أدخله خطأ"[15] فكانت الصحافة خيط الأمل الذي أعاده إلى أسرة المعلم ،حين وجد نفسه جنبا إلى جنب في المهنة نفسها مع النذير –ابن المعلم –الذي حمل مبادئ والده وسار على نهجه فتظافرت جهود الاثنين في الدفاع عن الحق والوقوف في وجه الباطل وتزييفه " العمل الذي ندخله هو تجربتنا الجديدة،لا وقت للكتابة عن

[9] المصدر نفسه ، ص31

[10] المصدر نفسه، ص 29

[11] المصدر نفسه ، ص 32

[12] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

[13] المصدرنفسه ، ص 34

[14] المصدر نفسه، ص 43

[15] المصدر السابق ،ص 50

الوهم..إنه زمن الفجيعة والحقيقة"[16]،عودته إلى أسرة المعلم أيقظت فيه مشاعر الطفولة التي لم تخبُ يوما" ذلك العقد الذي أخفيته عن الناس جميعا ، والذي أذكر صاحبته الصغيرة بقلب مازال يرتبك فرحا "[17] .

ويستمر البطل في سرد الأحداث التي تتأرجح بين إيقاع الموت ،الأحداث المأسوية الدامية وبين هاجس حب باهت وشاحب، تتقد حرارته تارة وتهمد تارة أخرى في معترك نفسه، وفي آخر النفق يشع له نور الأمل من جديد بموت خطيب الحبيبة .

الرواية لامست الوجع الجزائري وحيثياته التي تركت آثارها على الذات الفردية والجماعية والوطنية، وسعت لصيانة الذاكرة الجماعية والوطنية ، حين تلقفت الكاتبة اللحظة الأكثر نبضا في تاريخ الجزائر، وأعادت قراءتها من جديد فانزاحت عن صرامة التاريخ فأنتجت تاريخا موازيا من زاوية الإبداع ،فلامست ما هو جوهري في الإنسان الجزائري ووضعت ذواته المختلفة في المشرحة بجاذبية الخيال .

3– الذات وظلالها في الشخصيات:

الشخصية الروائية مهما كانت تخيلية فإننا نجد لها معادلا في الواقع المعيش لكون الكاتب لا ينطلق من فراغ في رسم شخصياته ،إذ يتكئ على مرجعيات محفورة في لاوعيه ويسقطها على شخصياته الورقية ويقرأ دلالتها المتلقي ومن هنا "يمكن التعامل مع الشخصية باعتبارها مورفيما فارغا أي بياضا دلاليا ، وهي بذلك لا تحيل إلا على نفسها وهو ما يعني أنها ليست معطى قبليا وكليا جاهزا ، إنها تحتاج إلى بناء، بناء يقوم بإنجازه النص لحظة التوليد ،وتقوم به الذات المستهلكة للنص لحظة التأويل "[18] .

شخصيات الرواية متعددة وتتفاعل فيما بينها لتطوير الحدث الروائي من خلال سرد البطل لأحداثها بتوظيف ضمير المتكلم " أنا" الذي " يحيل على الذات لأن الأنا مرجعية داخلية " [19]، فحين نتوغل في أعماق البطل نستشف معاناته التي تلامس القارئ ، فيجد فيها معاناته أيضا لدرجة تعلقه بالنص الروائي الذي يسبر أغوار نفسه، وكأنه المؤلف أو حتى السارد الذي عبر بلسانه عن مكنوناته.

لاكامورا هي التسمية المشؤومة التي لازمت البطل من الصبا وحاول عبثا التخلص أو الفرار منها هذا النعت المشؤوم الذي شكل عبئا أثقل كاهل نفسه، ولكنها قدره الذي أبى أن يفارقه " فالإنسان وهو يسعى للفرار من قدره يسعى في الحقيقة للفرار من ذاته"[20] .

---

[16] المصدر نفسه، ص68

[17] المصدر نفسه، ص64

[18] فليب هامون،سميولوجية الشخصيات الروائية ،تر سعيد بنكراد،دار الحوار للنشر والتوزيع،ط 1،2013م،ص15

[19] جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي،منشورات الأوراس،2007م،ص54.

[20] عزيز نعمان ،رواية ما بعد الحداثة دراسة في نص سيمرغ لمحمد ديب ، منشورات الاختلاف الجزائر،ط1،2013م ،ص 58

فبطل الرواية جزء من هم وطني يتربص به الموت من كل جانب وبشخصيات الرواية ولسوء حظه يتخطاه الموت ليطال كل مقرب محبب إليه الأمر الذي أسلمه إلى حالة من التيه فهو حي مؤجل في انتظار مؤجل فيعبر متشائما " أنا الذي يتطير الناس منه أنا لاكامورا الذي ارتبط وجوده برحيل الذين أحبهم والذين يحبهم " [21].

اِنطلق البطل في رحلة بحث عن ذاته الفردية المتشظية والذات الوطنية – التي هي في واقع الأمر صورة استعارية للذات الجماعية – باثا همومه عن الوطن من خلال ذاته منطلقا من الذات الفردية إلى الذات الجماعية والتي نعتبرها جزء لا يتجزأ من الذات الجماعية التي يمثلها الوطن ، فهذا الأخير منبت الفرد يترعرع في أحضانه فتصبح كل تفاصيل الوطن وتقاسيمه وتضاريسه وجزئياته فاعلة في بناء ذات الإنسان وتشكيلها مهما كان الوطن طاردا أم جاذبا ، فالفرد منه يبدأ وإليه ينتهي .لهذا فان الذات الفردية كائنة في الذات الجماعية فيصبح حينها أنا مواز للنحن في بناء شخصية البطل في الرواية فنجده يلح في طرح وابل من الاسئلة المحيرة يتوق بواسطتها إلى اكتشاف ذاتيه اللتان تمثلان وجهان لعملة واحدة .وعبر مسار الرواية يردد ويكرر متسائلا :"من أنا حقا ؟" من أنا ؟[22]

عشت أبحث عني في تفاصيل مدينة اكتشفت أنها لا تعنيني تماما" ثلاثون عاما من الفرح الكاذب والانكسار اليومي قبالة تاريخ لا يقول الحقيقة"[23]

تساؤلات البطل تختزل حالة الضياع والتيه التي تكتنفه في العثور على جواب يشفي غليله الباحث عن الأنا ،النحن والوطن وإذ بعينيه تقع على الجواب صدفة في مقهى عمي العربي : " يجب أن تكون شيئا لتثبت قناعتك ولأجل ذاتك والوطن "[24] ، غير أنه لم يكن جوابا مقنعا في نظر البطل ، فالتناقض جلي بين الشعارات والواقع المعاش في وطن يقتل أبناءه كما يرى البطل :"ما الشيء الذي يمكنه إعادة رجل مثلي إلى حب الوطن ،كما أنه لم يرتكب ضدي شيئا ، كما أنه لم يرتكب ضدنا شيئا "[25].

فازدادت الحقيقة انفلاتا منه و اتسعت هوة شتاته وضياعه بين المصائر المأسوية لمن يرتبط بهم كموت الأم ،العمة الجد ، الأصدقاء ، رحيل الأب والمعلم ....الخ

وما زاد الحقيقة غموضا وإبهاما شخصية البطل غير محددة المعالم ،إذ تعمدت الكاتبة إسقاط معالمها وعدم تقييدها باسم معين أو حتى أوصاف محددة ،وفي ثنايا اللاتحديد تبطن الكاتبة مقصدية لم تفصح عنها، ووضعتها بين يدي المتلقي ليسبر أغوار الشخصية ويؤول دلالتها المكنونة فيها.

فالبطل صحفي باحث عن ذوات مختلفة ليجد ذاته يمكن اعتباره " مرآة لذوات أخرى تشابهه في واقع المتخيل الروائي من حيث توزعها الروحي والفكري والوجداني أمام واقع فظ يلقي بكلكله على الوجود والحياة "[26] ليكون بذلك صورة استعارية

---

[21] مصدر سابق،ص 44

[22] المصدر نفسه ،ص 27-28.

[23] المصدر نفسه ،ص 69

[24] المصدر نفسه ص 27

[25] المصدر نفسه ،ص80.

[26] حمد مسعودي،متخيل الذات والواقع بين الدرامية والتوتر الشاعري،مجلة القدس العربي ،ع6455،الخميس 11مارس2010. ص1

بديلة عن كل فرد في هذا الوطن وما يعانيه، صورة تعبر عن الوطن وهمومه التي تثقله من خلال ذاته، في لعبة سردية بين الضمائر من الأنا إلى النحن إلى الهو تتماهى فيها الذات الفردية والذات الجماعية و يعبر من خلالها الفرد إلى الجماعة فيستحيل ألم المجتمع والوطن ككل هو ذاته ألم الفرد بكل ثقله، وهذا ما نستشفه في قوله :" فما الوطن أمام هذا الشتات الرهيب؟ أليس الشتات وطن الفقراء و المعدومين؟ ألسنا نحن الذين سنخرج أخيرا ونطفئ النور خلفنا. الوطن الذي صدقت حرارته حين صدقت أنني قادر على تجاوز يتمي الأبدي،كنت أنا ذلك الشعبي البيسط .....كنت أنا ذلك اليتيم الذي كان يسميه الناس لاكامورا...."[27].

فكل قارئ يمكنه أن يرى ذاته و الآمه وآماله الكامنة في عمقه مختزلة في البطل فيحس إحساسه ، يتألم لألمه ويفرح لفرحه متنافرات تتآلف في ذات البطل وحتى الإنسان ككل وهي أمور حتمية لا مفر منها في مسار حياة كل فرد .

وبالمقابل كانت البطلة / الحبيبة غير مقيدة بمسمى معين فكانت في نظر البطل/ السارد " تلك الصغيرة أو تلك الجنية "كما فضل أن يسميها ،احتلت ذاكرته بكل تفاصيلها كان يرى فيها الوطن بكل تفاصيله " يا امرأة من زجاج يا وطنا عشته بتفاصيله الخاصة بي يا دولة لم أعرف الدفاع عن تفاصليها "[28].

فكأنها المعادل للوطن الحلم ، المستقبل ، الأمل والتفاؤل ،وهذا ما يتجلى في علاقتها بالبطل إذ ولدت مشاعر في مرافئ الطفولة " تلك اليد الصغيرة التي كانت تمسكني من يدي وتحتمي بي ، تضغط على يدي وتهمس لي "لا تبتعد عني" وكنت لا أبتعد وأتشبث بحقي فيها "[29] ، حب طفولي في نقائه وطهره وصفائه يمثل الوطن في زمن الصفاء والطهر والشفافية وسرعان ما تلاشت هذه الميزات حين زحف العنف والهمجية إلى الوطن وطغت بشاعة التطرف وقبحه على يومياته قابلتها علاقة منكسرة ومبهمة باهتة وشاحبة بين البطلين حين ارتبطت الحبيبة بضابط الشرطة "فاختارت شارعها العسكري وتركت له شارعها المدني كما يعبر البطل بقلب حزين منكسر في لحظة مواساة منها :" ويصبرك أنت أيضا .....رصاصة العزاء الذي يأتي في غير موضعه.....يصبرني على ماذا تحديدا ؟على خسارتي الأكيدة والمتكررة يوميا؟ على ما أفقده من الرؤى و من الأحلام؟على أصدقائي؟ على أشخاص التقيتهم لأنعيهم في اليوم التالي؟على وطن قضيت العمر أبحث عنه في أوطان الآخرين؟ وفي أفراحهم التي كانت تستثنيني؟ يصبرني على ماذا تحديدا؟ عليك أنت يا جنية اختارت شارعها العسكري وتركت لي شارعي المدني الملئ بالهموم اليومية والأحزان والتراكمات."[30]، تلاشى حلم ارتباطه بجنيته ، محبوبته اختارها طريقا شوه ملامح البراءة والنقاء فيها تماما كما حدث مع الوطن تشوهت ملامحه وغرق في بحر مأساته الداخلية نحو طريق مجهول النهاية ، وفجأة يحدث انعطافا غير مجرى الأحداث التي كانت تنحو نحو المجهول ،التيه والضياع بموت ضابط الشرطة، يلوح بصيص أمل في الأفق أخيرا ستمطر سحب السعادة على أرضه وتزهو الحياة بألوانها الزاهية سيسترجع المحبوبة وسيسترجع الوطن الذي كاد يفلت

[27] ياسمينة صالح،وطن من زجاج ،ص 85.

[28] المصدر نفسه ،ص163

[29] المصدر نفسه ، ص39

[30] المصدر السابق ،ص 158.

منه كلما اقترب، إذ يمثل ظفره بمحبوته عودة للذات ومنها أمل يبعث لمستقبل جديد للوطن، أين يجمع الوطن شمل أبنائه وتلتئم جراحه وتضمدها يد أبنائه.

نهاية مبشرة بتفاؤل ترسمه الكاتبة لمستقبل يسوده الحب ،الأمن والاستقرار، إنها باختصار عودة الذات الفردية الضائعة والكائنة في الذات الجماعية فتتوحد مع ذات الوطن في إشارة إلى أن الحب الصادق في أبسط صوره يهزم الألم ويحوله أملا، ويصنع من الموت حياة ،ومختزل هذا كله إنه الانتصار .

من خلال الشخصيتين المحورتين في الرواية غاصت ياسمينة صالح في عمق الذوات الأخرى ، فكانت رحلة بحث عن الذات الفردية بموازاة البحث عن ذات وطنية/جماعية أين " تسعى الذات إلى إعادة البناء والتركيب رمزيا لعلها تظفر بيقين جديد يقنع النفس ويعمق الانتماء والوطن "[31] لتحقيق الانسجام والتوازن على مستوى الواقع والحياة .

وخلاصة لما سبق نصل إلى أن:

رواية وطن من زجاج لياسمينة كانت قراءة لمرحلة حساسة من تاريخ الجزائر لتشكيل الوعي المتوازن مع المرحلة وما أفرزته من مفاهيم .

أبرزت الرواية حالتي التيه و التشظي التي يعانيها المثقف في بحثه عن الذات الفردية الكامنة في الذات الجماعية ، وفقدانها للانسجام في ظل تصادمها مع واقع غير قار،ومن ثم فإن التصالح مع الذات الفردية ينعكس على التصالح مع الذات الجماعية والوطنية.

شّرحت الكاتبة الواقع المأزوم في إدانة للمشاهد المأسوية التي عانى منها الإنسان الجزائري في ظل العشرية السوداء، وبالمقابل أزمة الذات في صراعها مع ذاتها مختصر في سؤال "من يقتل من ؟" ذات تقتل ذاتها ،فهم سقيم للدين أفرز تطرفا أزاح المفاهيم عن أصولها.

جعلت الكاتبة المرأة معادلا للوطن في تمامٍ أفصحت عنه في ثنايا الرواية وانتصرت للحب وعودة الذات الضائعة في توحدها مع ذات الوطن .

المصادر والمراجع:

المصادر:

1-ياسمينة صالح ، رواية وطن من زجاج، الدار العربية للعلوم ،ناشرون،لبنان ،الطبعة الأولى ،2006م

المراجع :

1 بسام موسى قطوس ،سيمياء العنوان،مكتبة الاسكندرية ،الطبعة الأولى ،2001م

2- جويدة حماش، بناء الشخصية في حكاية عبدو والجماجم والجبل لمصطفى فاسي،منشورات الأوراس،2007م

3- عزيز نعمان ،رواية ما بعد الحداثة دراسة في نص سيمرغ لمحمد ديب ، منشورات الاختلاف الجزائر،الطبعة الأولى،2013م.

[31] مطلفى عطية جمعة ،مابعد الحداثة في الرواية العربية الحديثة ، الوراق للنشر والتوزيع ،ط1 ، 2011م، ص 45.

4- فليب هامون،سميولوجية الشخصيات الروائية ،ترجمة سعيد بنكراد،دار الحوار للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،2013م
5- مطلفى عطية جمعة ،مابعد الحداثة في الرواية العربية الحديثة ، الوراق للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ، 2011م

المجلات:

1- فريدة إبراهيم بن موسى ،زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية،مجلة عود الند 71، 5-05-2012.
http://www.oudnad.net/spip.php?article391
2-محمد مسعودي،متخيل الذات والواقع بين الدرامية والتوتر الشاعري،مجلة القدس العربي ع6455،الخميس 11مارس2010.

ملتقى:

1- عبد الستار الجامعي ،صناعة الخطاب الروائي في الأدب الجزائري الحديث رواية وطن من زجاج أنموذجا،الملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة الhttp://www.benhedouga.com/content15